اول سن المشيخوخة ومنوي الضعف الي ماشاء الله تعالي وقرا حمزة وعاصم
بخلاف عن حفص بفتح الضاد في الثلاثة وهو لغة تميم والباقون بالضم وهو
لغة قريش ولما كانت ملدي في العادة الغالبة وكان الناس متفاوتين فيها وكان
الناس من يطعن في السن وهو قوي وانتج ذلك كله انه لابد ان يكون التصرف
بالاختيار مع شمول العلم وتمام القدرة قال تعالي يخلق ما يشاء اي من هذا
وغيره وهو العليم بتدبير خلقه القدير علي ما يشاء فان قيل ما الحكمة في قوله
تعالي هنا وهو العليم القدير وهو تعالي من قبل وهو العزيز الحكيم والعزة
اشارة الي كمال القدرة والحكمة اشارة الي كمال العلم فقدم القدرة هناك
علي العلم اجيب بان المذكور هناك الاعادة بقوله تعالي وهو اهون عليه
وله المثل الاعلي في السموات والارض وهو العزيز الحكيم لان الاعادة بقوله
تعالي كن فيكون فالقدرة هنا اظهر وههنا المذكور الابداء وهو اطوار واحوال
والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا اظهر ثم ان قوله تعالي وهو العليم القدير
فيه تبشير وانذار لانه اذا كان عالما باحوال الخلق يكون عالما باحوال المخلوق
فان عملوا خيرا علمه وان عملوا شرا علمه ثم اذا كان قادرا وعلم الخير اثاب
واذا علم الشر عاقب ولما كان العلم بالاحوال قبل الاثابة والعقاب اللذين
هما بالقدرة والعلم قدم العلم واما الاية الاخري فالعلم بتلك الاحوال
قبل العقاب فقال وهو العزيز الحكيم ولما ثبتت قدرته علي البعث وغيره
عطف علي قوله اول السورة ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون **ويوم
تقوم الساعة** اي القيمة سميت بذلك لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات
الدنيا او لانها تقع بغتة او اعلاما بيسرها علي الله تعالي وصارت علما
بالغلبة عليها بالغلبة كالكواكب للزهرة **يقسم** اي يحلف **المجرمون** اي
الكافرون وقوله تعالي **ما لبثوا** جواب قوله تعالي يقسم وهو علي المعني
اذ لو حكي قولهم بعينه لقيل ما لبثنا اي في الدنيا **غير ساعة** استقلوا
اجل الدنيا لما عاينوا الاخرة وقال مقاتل والكلبي كذبوا في قولهم غير
ساعة ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال تعالي كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وفي حديث
رواه الشيخان ما بين النفختين اربعون وهو محتمل للساعات والايام
والاعوام **كذلك** اي مثل ذلك الصرف عن حقائق الامور الي شكوكها
كانوا في الدنيا كونا هو كالجبلة لهم **يؤفكون** اي يصرفون عن الحق في الدنيا
وقال مقاتل والكلبي كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا
ان لا بعث والمعني ان الله تعالي اراد ان يفضحهم فحلفوا علي شيء تبين
لاهل الجمع انهم كاذبون ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم بقوله تعالي **وقال الذين
اوتوا العلم والايمان** وهم الملئكة والانبياء والمؤمنون **لقد لبثتم في كتاب الله**

اي

اي فيما كتب الله لكم في سابق علمه وقضائه او في اللوح المحفوظ او فيما وعد به
في كتابه من الحشر والبعث فيكون في كتاب الله متعلق بلبثتم وقال مقاتل
وقتادة فيه تقديم وتاخير معناه وقال الذين اوتوا العلم بكتاب الله والايمان
لقد لبثتم وفي ترد بمعني الباء فردوا ما قال هولاء الكفار وحلفوا عليه واطلعوهم
علي الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم علي انكار البعث بقولهم **الي يوم البعث**
الذي انكرتموه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص باظهار الثاء المثلثة عند
التاء المثناة والباقون بالادغام تنبيه سبب اختلاف الفريقين ان الموعود
بوعد اذا ضرب له اجل ان علم ان مصيره الي النار وهو الكافر يستقل مدة اللبث
ويختار تاخير الحشر والابقاء في القبر وان علم ان مصيره الي الجنة وهو المومن
فيستكثر المدة ولا يريد تاخيرها فيختلف الفريقان وفي هذه الفاء قولان
اظهرهما انها عاطفة لهذه الجملة علي لبثتم وقال الزمخشري هي جواب
شرط مقدر اي ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين
بطلان ما قلتم ولما كان التقدير فهذا يوم البعث الذي كما كنا به عالمين فلم كان لكم نوع
من العلم لصدقتمونا في اخبارنا به فنفعكم ذلك الان عطف عليه
قوله **ولكنكم كنتم** اي كونا هو كالجبلة لكم في انكاركم له **لا تعلمون** اي ليس
لكم علم اصلا لتفريطكم في طلب العلم من ابوابه والتوصل اليه باسبابه
فلذلك كذبتم به فاستوجبتم جزاء ذلك التكذيب اليوم ولما كانت الاية
دالة علي ان هذه الدار دار عمل وان الاخرة دار جزاء وان البرزخ حايل
بينهما فلا يكون في واحدة منهما ما للاخري تسبب عن ذلك قوله تعالي
فيومئذ اي اذ يقع ذلك ويقول الذين اوتوا العلم تلك المقالة **لا ينفع
الذين ظلموا معذرتهم** في انكارهم له **ولا هم يستعتبون** اي لا يطلب منهم
اي الرجوع الي ما يرضي الله تعالي كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني
فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وقرا الكوفيون بالياء التحتية
لان المعذرة بمعني العذر ولان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما والباقون
بالتاء الفوقية ثم اشار تعالي الي ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية
من الانذار وانه لم يبق من جانب الرسول صلي الله عليه وسلم تقصير
بقوله تعالي **ولقد ضربنا** اي جعلنا **للناس في هذا القران** اي في هذه السورة
وغيرها **من كل مثل** اي معني غريب هو اوضح واثبت من اعلام الجبال
في عبارة هي ارشق من ساير الامثال فان طلبوا شيا اخر غير ذلك فهو عناد
محض لان من كذب دليلا لا يصعب عليه تكذيب الدلايل بل لا يجوز
للمستدل ان يشرع في دليل اخر بعد ذكره دليلا جيدا مستقيما ظاهرا
لا اشكال عليه وعانده الخصم وهذا من العلم فكيف بالنبي صلي الله
عليه وسلم فان قيل الانبيا عليهم الصلاة والسلام ذكروا انواعا من

King Saud University
Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)